﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المؤمنون: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربـــطُ وعـيـدِ الله لقوم نوحٍ المُعاندين، بكون الانتقام منهم شفاءً لصدور المؤمنين

لمّا ذَكَر تعالى في الآية السّابقةِ استغاثةَ الرّسول واستفتاحَه باللّه على الظّالمين من قومه، ووَعْدَ اللّهِ له بإنجاز دعائِه وإغاثتِه؛ أخبر هنا في هذه الآية عن تحقيقه الوعدَ بالفعل، وإنجازِه بنزول العذاب، وكيفيّةِ عقابِه للظّالمين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: (أخذ) أصلُ الأخذ: حَوْزُ الشَّيْءِ وجَبْيُهُ وجَمْعُهُ، قالَ الخَليلُ: هوَ خِلافُ العَطاءِ، وهو التَّناوُلُ[1]، فالأَخْذُ: تَناوُلُ الشَّيءِ باليَدِ، واستُعمِلَ مجازًا مَشهورًا في الاستيلاءِ، قال تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التَّوْبَة: 5]، وفي القَهْرِ نحو: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ [الأنعام: 42]، وفي التَّلقّي مثلُ: ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: 81]، وفي الاحتِواءِ والإحاطَةِ، يُقالُ: أَخَذَتْهُ الحُمَّى، وأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، وفي الإهلاكِ نحو: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة: 10][2]، والمُرادُ بالأخذِ في الآية: الإهلاكُ والقَهْرُ والتَّدميرُ السَّريع.

2) ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾: (صيح) أصلٌ يَدُلُّ على تَشقيقِ الصَّوتِ، مِنْ قَولِهِمْ: انْصاحَ الخشبُ، أوِ الثَّوبِ، إذا انشقَّ، فسُمِعَ منه صَوتٌ، وصيحَ الثَّوبُ إذا انشقَّ كذلك[3]، والصِّياحُ: صوتُ كُلِّ شَيْءٍ إذا اشْتَدَّ[4]، والصَّيْحَةُ: العذابُ، يُقالُ: صيحَ في آلِ فُلانٍ، إذا هَلَكوا،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 2/ 271.
(3) الرّاغب، المفردات: (صيح).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (صيح).

والصَّيحةُ: الغارةُ إذا فوجِئَ الحيُّ بها[1]، ولمّا كانت الصَّيْحَةُ قد تُفْزِع، عبَّر بها عَنِ الفَزَعِ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر: 73]، والصّائِحَةُ: صَيْحَةُ المناحة[2]، والمراد بالصَّيْحَةِ في الآية: صَوْتُ الصّاعقة[3].

3) ﴿غُثَآءً﴾: (غثي): أَصْلٌ تَدُلُّ على ارتفاعِ شَيءٍ دَنيٍّ فوقَ شيءٍ، من ذلكَ: غُثاءُ السَّيلِ، يُقالُ: غَثا الوادي يَغْثو، وأَغْثَى يُغْثي أيْضًا[4]، ويُضرَب به المَثَل فيما يَضيع ويذهبُ غيرَ مُعتدٍّ به، ويُقالُ: غَثَتْ نفسُه تَغْثي غَثَيانًا: خَبُثَت[5]، والغثاء عند العرب: ما يعلو الماءَ منَ القماش والزَّبد، ممّا لا يُنْتَفَعُ به، فيُشَبَّهُ كلُّ مَنْ لا خير فيه، ولا منفعةَ عندَه، بالغُثاء، والغُثاءُ هو الجُفاء، قد غَثَى الوادي يَغْثي، وقدِ انجفَأ ينجفِئُ: إذا علاه ذلك[6]، والمُرادُ بالغُثاءِ هنا: الرَّميم الهامد الَّذي يحملُه السَّيلُ من ورَق الشَّجر وغيره، أي: فصيَّرناهم هَلْكَى هامدين، كغُثاء السَّيل البالي[7].

4) ﴿فَبُعْدًا﴾: (بعد) أصلُ البُعْدِ: خِلافُ القُرْبِ، يُقال: بَعُد يَبْعُدُ بُعْدًا، ضِدّ قَرُبَ يَقرُب قُربًا، وليس لهما حَدٌّ محدود[8]، والَّذي عَبَّرَ بِهِ الأقدمون، أنَّ البُعْد بمعنَى الهلاك، كَما في (الصّحاح) وغَيره، ويُقال: إنَّ الَّذي بمعنَى الهلاكِ، إنَّما هو البَعَد، ومَنْ جَوَّزَ الاشتراكَ فيهما أشارَ إلى أفصحيَّة الضَّمِّ في خِلافِ القُرْب، وأفصحيَّة الكسرِ في معنَى الهلاكِ[9]، وأمّا المقصود بالبُعْد في الآية: فكِنايةٌ عنِ التَّحقيرِ، بلازِمِ كراهيّةِ الشَّيءِ[10]، أي: هلاكًا لهم.

5) ﴿قُرُونًا﴾: (قرن) أَصْلٌ يدلُّ على جَمْعِ شَيءٍ إلى شَيءٍ[11]، وهو مأخوذٌ مِنَ الاقترانِ،

(1) ابن منظور، لسان العرب: (صيح).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صيح).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 59.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غثي).
(5) الرّاغب، المفردات: (غثي).
(6) الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: (غثاء).
(7) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 34.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزَّبيديّ، تاج العروس: (بعد).
(9) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (بعد).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 79.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قرن).

وهو اجتماعُ شيئين أو أشياءَ في معنًى مِنَ المعاني[1]، والقَرْنُ: القومُ أو الأُمَّةُ مِنَ النّاسِ المُقترِنونَ في زمنٍ واحدٍ، غَيْرِ مُقَدَّرٍ بمُدَّةٍ مُعَيَّنةٍ[2]، والجَمْعُ: قُرونٌ، قال الجوهريّ: "والقَرْنُ: ثمانون سنةً، ويقال: ثلاثون سَنةً، والقرن: مثلُك في السِّنّ، تقول: هو على قَرْني، أي: على سِنّي، والقَرْنُ منَ النّاس: أهلُ زمان واحد، قال:

إذا ذَهَبَ القَرْنُ الّذي أنْتَ فيهِمُ***وَخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنْتَ غَريبُ"[3]

والمُراد بها في الآية: الأُمَم، وهُمُ الَّذينَ لم تُرسَلْ إليهم رُسلٌ، وبقَوا على اتِّباعِ شريعةِ نوحٍ، أو شريعةِ هودٍ، أو شريعةِ صالحٍ، أو لم يُؤمروا بشرعٍ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فانتقَمْنا منهم بصَيحةٍ أخذَتْهم، وهم يَستَحِقّونَ هذا العِقابَ؛ لِكُفرِهم باللّهِ وتَكذيبِهم رَسولَه، فلم يَظلِمْهُمُ اللّهُ، ولكِنْ ظَلَموا أنفُسَهم، فجعَلْناهم هَلْكى هامِدينَ، حتَّى صاروا كغُثاءِ السَّيلِ الَّذي لا مَنْفعةَ فيه، فبُعدًا مِن رَحمةِ اللّهِ لِلقَومِ الكافرينَ الَّذين ظَلَموا أنفُسَهم بالكُفرِ برَبِّهم، ومَعصيةِ رَسولِه، ثمَّ أوجدنا بعد هلاك أُمَّة القَرْن السّابق أُمَمًا وخلائقَ أُخرى، ويُراد بها عند أكثر المفسّرين: أقوامُ صالحٍ ولوطٍ وشُعيبٍ، وغيرُهم[5].

هـلاكُ الكَـفَـرة المُعـانـدين، هو النَّتيجة الحتميَّةُ المُطابِقةُ لعَدْل اللهِ وميزانه في كونه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ موقعِ جملة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾:

جملة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ معطوفة على مقالة الوعيد، في

عـقـوبـةُ الـلـهِ سريعةٌ مُباغِتَةٌ، وفـجْـأةُ العقابِ مِن أشدّ العقاب

(1) الرّاغب، المفردات: (قرن).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قرن).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (قرن).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 18/ 60.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 47، والواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 586، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 475، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 6/ 1293.

جملة: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ﴾؛ لتعقيب القول بالفعل، والوعيدِ بالإنجاز، ومعنى الفاء: السّببيّة، فأخْذُهُم بالصّيحة مُسَبَّبٌ عنِ الوعيد المقول، ولا يخفى ما في الفاء من دلالةٍ على التّوالي السّريع في وقوع ذلك[1].

بلاغةُ المجازِ العقليّ في التّركيب:

يُسنَد الفعل إلى سبَبَه المشهود، تـوسّـلًا إلى شهـود الفـاعل الأعظم له

في إسناد الأخذ إلى الصّيحة في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، مجازٌ عقليّ، بإسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقيّ؛ لتصويرهم وهم مُتلبِّسون بالعذاب؛ لأنّ الصّيحة هي سببُ الأخذ، وهي مَرئيّةٌ مشهودةٌ بدمارها وآثارها[2].

لفظ ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ بينَ الحقيقة والمجاز:

الدّلالة المجازيّة قد تكون أوسعَ فـي معـناها مـنَ الـدّلالـة الحقيقيّة

إذا أُريدَ بالقوم المُهلَكين قومُ صالح، فلفظُ الصّيحةِ على حقيقته، وهي صيحةُ جبريلَ عليهم، فصُعقوا من صوته، أو هي صوتُ الصّاعقة الّذي صدّعَهم وأهلَكهم، ويُؤيّده قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ [الحاقّة: 5]، وقولُه في شأنهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝٨٣﴾ [الحجر: 83]، وإن أُريدَ بهم عادٌ قومُ هودٍ، فالتّعبيرُ بالصّيحة مجازٌ مرسلٌ، والمُراد بهِ العقوبةُ الهائلةُ والعذابُ المُستأصِل بالرّيح؛ لأنّ قوم هودٍ أُهلِكوا به، كما في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: 16]، فأطلَقَ الخاصّ وهو الصّيحةُ، وأراد العامَّ وهو العذاب، ويدلّ على كونهم قومَ هودٍ أنّ القصّة هذه عَقِبَ قصّةِ نوحٍ، واللّهُ يقول في عاد: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69][3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 140، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 59، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5074.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 59، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5074.

(3) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 175.

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾:

الباء في قوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ للمُلابسة[1]، أي: مُلتبسًا بحُكم الحَقّ والعدل، ويَصِحّ أن تكون الباءُ للسّببيّة، أي: فأخذناهم بسبب الحَقّ، أي: بسبب استحقاقهم ذلك[2].

توجيهُ الكنايةِ في كون ﴿ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾:

لا دافعَ ولا رافعَ لِما قضاهُ اللهُ وحَكَم به

باعتبار الباء للسّببيّة الدّالّةِ على ثُبوت الاستحقاق وإيجاب الوقوع، فيكون تعليقُ إيقاعِ الصّيحة بلفظ (الحقّ) كنايةً عن إرادة الله في الوعيد المذكور، فلا يتخلّف، ولا دافعَ له ولا رافعَ - على أنّ (الحقّ) بمعنى الثّابت، مِن (حقّ) إذا (ثَبَت)[3].

دلالةُ تقييد الوعيد بـ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾:

تقييد العقوباتِ بحيثيّاتها، منَ التّعليلات الجميلة، والمقاصد الأصيلة

تقييدُ الأخذ بالصّيحة بكونه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾، مع أنّ كلّ وعيدٍ لا يقع إلّا بحَقّ؛ لدفعِ الإشفاقِ عليهم، أو طلبِ المعذرةِ لهم، ليستقرّ في ذِهنِ كلِّ مُستعظِمٍ لهذا الوعيد، أنّه وعيدٌ استحقّوه ولم يُظلموا فيه مثقال ذرّة، وفائدة التّقييد أيضًا: التّنبيهُ على أنّ نزولَ الصّيحةِ كان عن عقوبةٍ وحُكمٍ جزائيّ؛ لئَلّا يَدّعي مُدّعٍ أنّ نزولَ الصّيحة كان مُجَرّد ظاهرةٍ كونيّة، أو حُكمٍ قَدَريّ.

نُكْتَةُ إضمارِ الفاعل في جملة ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾:

عقابُ اللهِ للظّالمين؛ تحوّلُ العافيةِ وتبدّلُ الحال

إيثارُ الإضمار في قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءَۢ﴾، ولم يقل: (فَجَعَلَهُمُ اللهُ غُثاءً) - بإظهار الفاعل؛ لقصد الإسناد إلى نون العَظَمة؛ لتعظيم الجليل في أفعاله، بما يستلزم تعظيمَ العقوبةِ، وهي الأخذ بالصّيحة ترهيبًا منَ الوعيد.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 59.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 15/ 584.
(3) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 175.

بلاغةُ التّشبيه البليغ في ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۢ﴾:

بيان أنّ السّياق الحكيم يُبرِز مِقدارَ ذَمِّهم، والمبالغةَ في تحقيرهم

في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۢ﴾ تشبيهٌ بليغ[1]، حُذِفَ منه أداةُ التّشبيه ووجهُ الشَّبَه، حيثُ شبّههم بعد إهلاكهم - وهم صَرْعى - بالغُثاء فوقَ السّيل، وهو غثاءٌ لا يلبث أن يذهبَ جُفاءً، وتقديرُ التّشبيه البليغ في السّياق: (هم غثاء)، وقيمة التّشبيه البليغ في جَعْل المُشَبَّه متّحِدًا في المُشبّه به، كأنّه حالٌّ فيه، ممتزجٌ به، فيصيرُ كأنّه هو.

بلاغةُ الكنايةِ في التّركيب المُحكم:

الكُفْرُ يُجَرّد الإنسانَ من قيمته، ويطرحُه هباءَ غُثاءً

في تركيب ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۢ﴾ كنايةٌ بديعة، في التّنبيه على لازم ذلك، وهو أنّهم صاروا بلا قوّةٍ، ولا قيمةٍ، ولا نفعٍ، ولا نصير.

معنى الفاء في لفظ ﴿فَبُعْدًا﴾:

مُزامنةُ الصّيحةِ والهلاكِ، للدّعاء على الظّلمة الهُلّاك

الفاء في قوله: ﴿فَبُعْدًا﴾ فصيحةٌ، عاطِفةٌ مدخولَها على محذوفٍ مُقَدّر، أي: إذا كانوا قد صاروا غثاءً، فقد بَعُدوا وهَلَكوا - فبُعْدًا وهلاكًا لهم، وهي في معنى السّببيّة والتّفريع كذلك، أي: ترتّبَ عن جَعْلِهم غثاءً إبعادُهم وإفناؤُهم، وإراحةُ الخَليقةِ منهم[2].

دلالةُ لفظِ (بُعْدًا):

الدّعاء متعلّقٌ بما سيَحْصُل استقبالًا واستمرارًا

كلمة (بُعدًا) في جملة: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، جاريةٌ على سبيل الدّعاء عليهم بالهلاك الماحِق، دعاءَ شتْمٍ وتحقيرٍ ذمًّا لهم، وليس مستعملًا في حقيقة الدّعاء؛ لأنّ هؤلاء قد بَعُدوا - بالفعل - بالهلاك، وحقيقةُ الدّعاء جاريةٌ فيما سيَحْصُل، لا فيما حصل، فالجملةُ إخبارٌ لا إنشاء، ويصحّ أن يكون إنشاءً بالدّعاء عليهم حقيقةً، على معنى استمرارِ الدّعاء عليهم بالطّرد والإبعاد إلى يوم يبعثون، فهم ملعونون في كلّ كتابٍ، وعلى كلّ لسان، حتّى يَلْقَوا جزاءَهم يومَ الدّين[3].

(1) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 175.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5075.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 135، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/ 59، والخطيب، التّفصيل في إعراب القرآن: 9/ 61.

نُكْتَةُ الإظهارِ في موضع الإضمار:

سُنَنُ اللهِ جاريةٌ في الخُصوص والعُموم

أظهَرَ في موضع الإضمار في قوله: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: (فَبُعْدًا لَهُمْ)؛ صيانةً للفاصلة ألّا تنخرِمَ، وتعميمًا لِمَنْ يستحقّون حُكْمَ الإبعاد، والمأخوذون بالصّيحة مندرجون تحتَهم، وتعليقًا للحُكم بالوصف، تحذيرًا لكلّ من تلبّس به، وإشعارًا بعِلّة الإبعاد، وهو الاتّصاف بالظّلم[1].

دلالةُ اللّام في شبه الجملة ﴿لِّلۡقَوۡمِ﴾:

اللّام في قوله: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ للبيان والتّعيين[2]، أي: تعيين وصْفِ الفئةِ التّي دُعيَ عليها بالإبعاد، فأُتْبِعوا مع عذابِهم البُعْدَ واللّعنةَ والذّمَّ منَ العالَمين[3].

معنى الحرف ﴿ثُمَّ﴾ في سياق الآية:

لا يخلو زمانٌ مِن حُجّة الرّسالات، الّتي بلّغها الرّسلُ للخلائق

﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ للتّرتيب والتّراخي الزّمني، بمعنى التّعاقب؛ وذلك للدّلالة على أنّ الأزمنة لا تخلو منَ الرّسل[4]، "قيل: هم قومُ صالحٍ، ولوطٍ، وشُعيبٍ، ويونسَ، وأيّوبَ، وغيرُهم، كما وردت قِصّتهم على هذا التّرتيب في الأعراف وهود، وقيل: هم بنو إسرائيلَ، وكان فيهم الرّسلُ قبلَ موسى، والقرونُ الأُممُ"[5].

سِرُّ إسنادِ الفعل إلى ضمير العَظَمة:

أفعالُ اللهِ نافذةٌ لا تَحْجُبها الموانعُ، ولا تُؤثِّر فيها العَوارضُ

إسنادُ فعلِ الإنشاء إلى ضمير العَظَمة، في قوله: ﴿أَنشَأۡنَا﴾؛ لتعظيم الفاعلِ الجليل ﷻ، وفائدةُ التّعظيم: التّنبيهُ على أنّ هذا الإنشاءَ حاصلٌ على جهة العَظَمةِ والإتقان، في التّدبير والتّقدير، فلا يتأثَّر بكونه حاصلًا في المُتقدِّمين أو المُتأخِّرين[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 141، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 135، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5075.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 135.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 551.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5076.
(5) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 9/ 120.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 142.

نُكْتَةُ استعمالِ لفظ ﴿قُرُونًا﴾ دونَ غيرِه:

لفظُ القرونِ يدلّ على المُشتركاتِ بينَ النّاس

كلمة ﴿قُرُونًا﴾ دون (أجْيالٍ) ونحوِهِ، مُعبِّرةٌ عنِ الأقوام والأُمم[1]؛ استطرادًا مع النّظم في سياقه القريب المُجاوِر، في قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾، ولأنّ القرون يُراد بها أهلُ الزّمنِ الواحد، سُمّوا بذلك لمقارنة بعضِهم ببعض[2]، فهذه القرونُ تُقارَنُ فيما بينَها في التّاريخ والمذهب، وسائرِ الفُروقِ البينيّة الحاصلةِ بين جيلٍ وآخر، وأهلُ القرنِ الواحدِ يقترن بعضُهم ببعضٍ في الأعراف والتقاليد، والأديان ومنازِع الاعتقاد والشّرع، ويُقارَنُ بينَهم في الإيمان والكُفر، وسائرِ الفُروق التّي تنبني بها المُقارَنات.

دلالة لفظ ﴿ءَاخَرِينَ﴾ في السّياق:

لكلّ جيلٍ طبائِعُهُ، ولكلّ عصرٍ مميّزاتُه

دلّ وصفُ القرونِ بكلمة ﴿ءَاخَرِينَ﴾ على التّغاير والخصوصيّة، والفروقِ بينَ المواصفات والظّروف، وطبائعِ كلّ مرحلةٍ وتمايزِها عمّا كان قبلها.

التّشابه اللّفظيّ بين آيتَي سورة المؤمنون (42)، و(31):

الإجمالُ بعدَ التّفصيل، جارٍ مجرى القانون العامّ، والتّقعيد الكليّ

بين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾، وقولِه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾، تشابهٌ لفظيّ، فجاءت ﴿قَرْنًا﴾ بصيغة المُفردِ أوّلًا؛ لأنّ الحديثَ مقصورٌ على عادٍ قومِ هود، أمّا هنا فقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾؛ لأنّ الكلام سيأتي عن أُمم ورسالات مختلفةٍ ومتعدّدة، فجاءت ﴿قُرُونًا﴾ بصيغة الجمع؛ ليدلّ على قرونٍ متتابعة أو متعاصِرة، كما تعاصر إبراهيمُ ولوطٌ عليهما السلام، وكما تعاصر موسى وشعيبٌ عليهما السلام، فوُرودُ الآيتين بصيغة الجمعِ بعد الإفراد، فيه إجمالٌ بعد تفصيل، أو تعميمٌ بعد تعيين؛ لأنّ الآية الأولى حكَتْ عن قومٍ ورسولٍ بأعيانهم، والآيةُ الثّانية: أخبرت عنِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 135.
(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 7/ 47.

القرون والأقوام دونَ إتباع ذلك بقِصّة الرّسل معهم، فإمّا أن تكون هذه الأُمم على شريعة مَن قبلَهم، أو كان لهم شريعةٌ ورسولٌ، واكتفى بالإشارة إليهم - تنبيهًا على أنّه جرت عليهم سُنّة اللّهِ في النّذارة والبِشارة، وتحقّق الوعدُ أو الوعيد كمَن سبقهم[1].

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 573، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 60، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 10041.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»